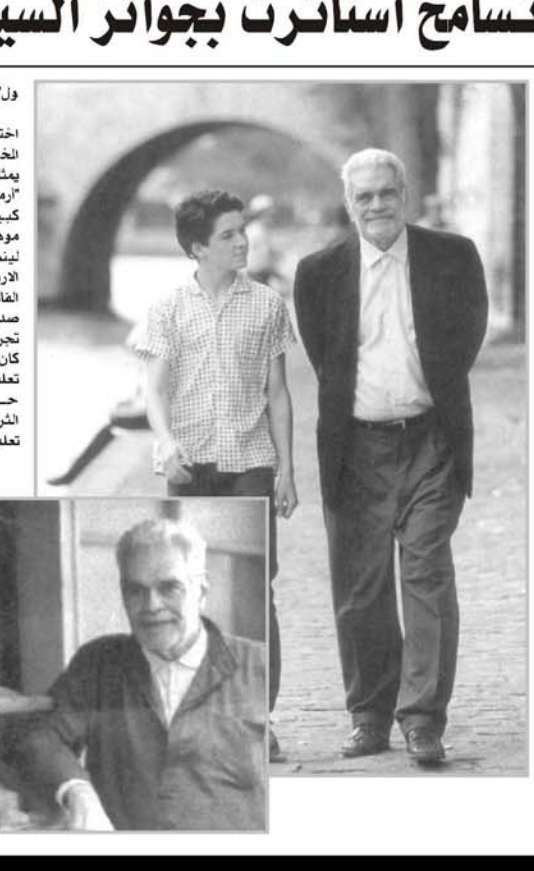

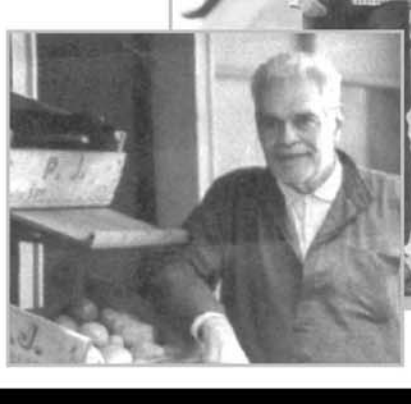

جدلية القوة والضعف في أعمال المخرج الألماني فيرنر هيرزوغ (1-2)

د. جواد بشارة

يعتبر فيرنر هيرزوغ واحدا من ألمع وجوه الموجة الشابة في السينما الألمانية التي بدأت مع بداية سنوات الستينيات في مهرجان أوبرهاوزن عندما نشروا بيانهم الشهير بتكوين الجماعة والذين عادوا بقوة مؤخرا في مهرجان برلين السينمائي عام 2004 من خلال مجموعة من الأفلام المثيرة والمتطورة جداً من الناحية الجمالية وفي مفردات لغتها السينمائية.

يكون فيرنر هيرزوغ مع مخرجين آخرين من أمثال فيم فيندرز وراينر فاسبندر وشلوندورف وبيتر هاندك وغيرهم العمود الفقري لتلك الحركة السينمائية الشابة في ذلك الوقت. ولد فيرنر هيرزوغ في الخامس من شهر أيلول 1942 في ميونيخ. كتب أول سيناريوهاته في عمر الخامسة عشرة وحصل على البكالوريا سنة 1961. وقد فشل في مبادراته الأولى في تصوير الأفلام في عمر السابعة عشرة عن موضوع الاصلاح في السجون، وبدأ ينتج بنفسه أول أفلامه القصيرة والأفلام الروائية بداية من عام 1963. أنهى دراساته في التاريخ والآداب في جامعة ميونيخ وفي جامعة وينسبورغ في الولايات المتحدة الأمريكية وكان يشتغل في النهار أثناء دراسته كعامل لحام في ماسيير. كان يحب السفر والاتصال بالشعوب والثقافات الأخرى التي زودته بمواضيع أفلامه لاحقاً وعن كل بلد أو تجربة صنع فيلما إبداعيا رائعا. في عمر الثامنة عشرة سافر الى السودان وفي وقت أزمة الكونغو، وأقام عدة مرات في فترات متقطعة في اليونان (خرج عن ذلك فيلم بعنوان علامات الحياة) وأقام في المكسيك وجزر الكناري (وخرج عن ذلك فيلم الأقزام يولدون صغاراً أيضاً) وفي أفريقيا (أبدع فيلما بعنوان ناثان مورغان) وفي البيرو أبدع فيلمه (أغير أو غضب الآلهة) وفي الغوادلوب أبدع فيلمه (la soufriere) وفي أيرلندا (قلب الزجاج) وفي هولندا وتشيكوسلوفاكيا أبدع (نوسفيرتو مصاص الدماء) و(فوزيك) وفي أمريكا اللاتينية في غابات الأمازون أبدع (فيتزكارالدو) الخ... إن مايميز فيرنر هيرزوغ عن أقرانه وزملائه من نفس جيل السينمائيين الشبان في الستينيات حتى أواخر سنوات الثمانينيات، هو ميوله الى المواضيع الغريبة والصعبة، التاريخية أو الأسطورية أو الخرافية، أو التيمات ذات النزعة المغامراتية وشبه الجنونية وابتعاده عن المواضيع المعاصرة والساخنة والتي تتطلب أو تستدعي موقفا سياسياً واضحاً ومحدداً. فمواضيعه لاتتعلق أو ترتبط بالوقائع السياسية والإخبارية الى جانب إسرافه في الجزئيات وحبه للمخاطرة ومواجهة الأخطار بصلابة وعناد وتركيزه على العناصر البلاستيكية. التشكيلية للصورة السينمائية وعنايته (بالكادرات) وماهو خارج (الكادر) في آن واحد ليخلق جمالية مؤثرة وذات معاني وأبعاد ودلالات حسية وفلسفية وكونية ووجودية حادة ومقلقة الى جانب الغنى الفوري أو الآني المنبثق عن الموضوع المعالج أو الذي يوحي به الموضوع المصور. وقد حار النقاد واختلفوا فيه بين مشجع مندفع ومغال في مدحه أو معارض ومهاجم وحاقد غير منصف عليه. تعج أفلامه بمزيج وخليط من الشخصيات المتنوعة والمتناقضة وكثيراً ما أشار النقاد الى وفرة الشخصيات والأبطال الدونيين والفوقيين، أي الأقل من المستوى الإنساني العادي أو الناقصون، والأعلى من المستوى الإنساني العادي (شبه السوبرمان) أو من هم فوق قيمة البشر العاديين بتحملهم الصعاب الخارقة ومجابهتهم للأخطار المؤدية للموت الحتمي كأبطال التراجيديا الأسطوريين. وقد تواجد هذان النوعان من الأبطال (الفوق الإنساني والدون الإنساني) جنباً الى جنب حتى لو اتخذا معاً هيئة الإنسان الخارجية العادية، وعلى مدى مجمل الفترة الزمنية التي خرجت فيها أفلامه تباعاً من (علامات الحياة حتى فيتزكارالدو) وكانت تجمعها علاقات ديالكتيكية تناقضية وتجاذبية في آن واحد تربط الواحد بالآخر بصورة حتمية مما شكل مفتاحاً مهماً لفهم عالم المخرج واستيعاب آثاره السينمائية وعمقها النفسي والفلسفي والديني والثقافي وكذلك السياسي على نحو غير مباشر. لنتناول أولاً شخصياته الضعيفة أو الدونية والتي بدأت في فيلمه (الأقزام يولدون صغاراً أيضاً) والذين قذفت بهم القدر وسط باحة المجتمع الإنساني العريض على صورة نشاز أولاً باختلافهم بالشكل والهيئة مدفوعين بالشعور بالدونية إزاء الآخرين العاديين فيزيائياً ونفسياً بالنسبة لبقية الناس المحيطين بهم. إنهم مقمعون ومحاصرون من قبل دائرة اجتماعية جائرة بحقهم مما يقدم صورة مصغرة للوضع الإجتماعي الذي أفرز هذه الظاهرة.

إن مصير (كاسبر هوسر) في الفيلم الذي يحمل نفس العنوان ليس أفضل حالاً مطلقاً من مصير الأقزام وهو في وضع لايحسد عليه ولايطاق، فقد بقي حبيس سرداب مظلم منذ ولادته حتى سن البلوغ دون أن يكون له أي اتصال بالعالم الخارجي وقد اختزل الى الحالة البدائية الطبيعية بالمعنى الذي يقصده عالم الانثروبولوجيا الشهير ليفي شتراوس، أي النقيض للحالة المتطورة والثقافية الواعية. وفي اللحظة التي يلج فيها كاسبر هوسر الى المجتمع دون أن يمتلك مايساعده على هذا الدخول من أسلحة ضرورية أولها الكذب والغش والنصب والاحتيال والفهلوة والدفاع عن النفس، وبنفس وسائل الهجوم والنصب والاحتيال التي يستخدمها الأفراد في المجتمع المعاصر، ودون أن يتسلح بعناصر القوة الجسدية والقوة النفسية والمعرفة التي يتميز بها الآخرون، وهو لايملك أدنى شيء حتى ولا ما كان يمتلكه الإنسان البدائي من أوليات وتجارب تساعده على قهر الطبيعة وتطويعها والاستمرار في العيش والبقاء على قيد الحياة، وذلك لأن كاسبر هوسر كان سجيناً وبعيداً عن كل تجربة وحتى طعامه وحاجياته البسيطة كانت مؤمنة له كل يوم وتقدم له من تحت الباب. إنه إذن من نوعية الحيوان المدجن الهش والقابل للاختراق بسهولة. وهناك شخصية برونو وهو شخصية أخرى من الشخصيات الدونية الضعيفة في فيلم (علامات الحياة). قضى الشطر الأكبر من طفولته ومراهقته في سجن الأحداث والمراكز الإصلاحية وأعتبر ناقصا عقليا وغير متطور ثقافيا، لايمكن تداركه أو إنقاذه اجتماعيا فهو بمثابة حالة ميئوس منها وإن كان بريئاً لاحيلة له بما آل إليه مصيره وما صارت إليه أحواله فهو لم يختر هذا المصير لكنه أصبح حالة مستعصية. لم تنجح دوائر الرعاية الاجتماعية في تأمين تبنيه في عائلة تربيه، وبالتالي فهو لايمكن استرجاعه الى أحضان المجتمع. نراه يصطدم باستمرار مع قوانين المجتمع القسرية والتقييدية لأنها قوانين عالم غريب عنه لايمكنه التكيف معها كأنه دون كيشوت عصري يصارع طواحين الهواء وهي هنا طواحين المجتمع القاسي الذي يعيش فيه حالماً بحياة أخرى، حياة يرغب في أن تكون كما هي في أحلامه، حياة خالية من كل عائق وبلا صعوبات وموانع ومحرمات. باختصار إن جزء من كائنات فيرنر هيرزوغ مسحوقة بفعل الزمن وتدخل الطبيعة وشرور العالم الذي جعلها ناقصة جسدياً تعاني العاهات الجسدية والنفسية. وبالمقابل هناك الشخصيات الراقية الفوقية في الأقل من الناحية السيكولوجية أو النفسية والتي يمكن أن نطلق عليها (الإنسان الأعلى أو فوق الانسان) لأن لها ماهية الشخصيات الأسطورية المنحدرة من أصل إلهي أو هي مايشبه أنصاف الآلهة التي تدلل على ذلك من خلال تصرفاتها وسلوكياتها اليومية. فهناك مثلاً (فويزيك، وأيضاً أغير، أو هياس، أو نوسفيرتو). فالأول فويزيك، الجندي المعبأ أو المستنفر على الجبهة في اليونان خلال الحرب العالمية الثانية يذكرنا ببروموثيه أو سارق النار في الأسطورة الإغريقية المتعلقة بآلهة الألعاب الأولمبية، حيث نجده يختلس أو يسرق كمية من المتفجرات ويهدد بإشعال وتدمير المدينة ويذهب الى أبعد من ذلك في هذيانه وتخيلاته ليتصور بأنه يسابق الشمس مقتنعا ومختالاً بقوته وقدرته الجبارة التي لاتقهر. والثاني (أغير) في فيلم "أغير أو غضب الآلهة"، العنود والصلب، المتلهف للخلود، الذي يتصور نفسه مجللا بالمجد والعظمة والسلطة، يصر على قيادة قافلته في رحلة محفوفة بالمخاطر والمجهول، كما خطط لها وهي القافلة التي أرسلت تحت قيادته لغزو الألدورادو تحت غطاء ديني، وبرغم جميع العقبات والصعوبات الهائلة التي جابهته وتجابهه في كل خطوة يخطوها والتي قضت على أحلامه، فهو لايتقبل فكرة بأن أحداً آخر يمكن أن ينجح فيما فشل فيه هو، وأن غيره يمكن أن يفلح فيما أخفق فيه هو ورجاله في مهمتهم شبه المجنونة. أما (هياس الراعي في فيلم (قلب الزجاج) فهو قادر على تخمين أو توقع المستقبل والتنبوء فيما سيقع لكنه عاجز عن فهم مصيره. و (نوسفيراتو) رسول الموت في حين هو خالد لايموت عبر القرون والأجيال. وأيضاً بطل الحملة المجنونة في فيلم (فيتزكارالدو) الذي يتحدى المستحيل. وهناك شخصيات عادية تتأرجح بين هذين النوعين من الأبطال أو الكائنات (الفوق والدون. الطبيعية). لكن الاستثنائيون سلبا وإيجابا هم الذين يشكلون الشخصيات والأبطال الرئيسية في جميع أفلام فيرنر هيرزوغ. ولكن من السذاجة والتبسيط بمكان أخذ هذه الفكرة الاستنتاجية على علاتها كما هي وتصوير هذا التعارض كقانون حاد وقاطع. فهؤلاء الأبطال العلويون أو الفوقيون عند التحليل الدقيق والتمعن في مصائرهم نراهم هم أيضاً مسحوقين كنظائرهم الدونيين أو الشخصيات الدونية الضعيفة ولا يملكون في الواقع أية قوة أو سلطة حقيقية. لقد طوق فويزيك وجرد من كل قوة وأنهي الى حد العجز التام، وهو ليس أحسن حالا من نظيره أغير الذي بقي وحيداً أعلى قيد الحياة بلا حول ولا قوة بعد أن قتل جميع أعضاء بعثته التبشيرية من قبل قوى غير مرئية هم أعضاء القبائل المتوحشة القاطنة في أعماق الغابة وأصبح في موضع الاستحالة والعجز التام عن فتح الألدورادو التي قهرته، لذلك أجهض حلمه بإنشاء سلالة تحمل اسمه نهائيا.

كلاكيت

كل هذه المهرجانات!

علاء المفرجي

للمهرجانات السينمائية في كل مكان في العالم شؤون وشجون، وخلال السنوات الاخيرة والاحداث السينمائية، وخاصة في اوروبا، وهو ما يؤكد التطور والحضور المهم الذي حققته الصورة، وما دخل عليها من تطورات تقنية متسارعة.

وان كانت المهرجانات السينمائية قد تنوعت وازدادت عدداً في العقدين الاخيرين حداً وصلت فيه الى استعانة المهتمين في هذا الفن الى دليل لمعرفة وقت ومكان انعقادها، فان الفن السابع قد عرف المهرجانات والتظاهرات السينمائية منذ وقت مبكر لهذه الصناعة، وخاصة تلك المهرجانات التي اصبحت مع مرور الوقت ضرورة مهمة بتقييم النتاج السينمائي ومتابعة ما وصل اليه، من تطور، وهي المهرجانات والتظاهرات الاهم في عالم السينما، والتي اصبح الفوز بجوائزها او حتى الاشتراك بها امتيازاً لأي نتاج سينمائي، وصارت عبر عقود من انطلاقها لازمة للانتاج السينمائي العالمي مثل جوائز الاوسكار، والبافتا، والسيزار ومهرجان برلين وكان وفينسيا.

ولو توقفنا فقط عند المهرجانات الاوروبية والتي تتولى امر رعايتها ودعمها ما يسمى باللجنة الاوروبية، لوجدنا ان التظاهرات السينمائية لم تعد حكراً على هذه المهرجانات وان لم تصل الى اهميتها.. حيث برزت خلال العقدين الاخيرين بشكل خاص مهرجانات متخصصة بانواع معينة من الافلام واخرى تختص بفئة عمرية معينة، مثلما تهتم اخرى بموضوعات خاصة بل باماكن بعينها، فصار لكل مدينة مهرجانها الخاص.

وامام ازدياد عدد المهرجانات، لم يعد ما يميز الاشتراك بها في الافلام الروائية بالمهرجانات في مواضيع مثل افلام المثل والشباب والطفولة، والعالم الثالث، والتاريخ، بل الاثار والحفريات والاصول والاعتراف، والهوية الثقافية والفيضانات، وحقوق الانسان، وما الى ذلك.

ولم يفتقر امر المهرجانات على التخصيص فقط. بل في عددها، ويكفي هنا ان نذكر ان بلدا كفرنسا يحتضن لوحده اكثر من (400) مهرجان في العالم..

وازاء هذا العدد المتزايد من المهرجانات والتظاهرات السينمائية، نشط المعنيون بامر هذا الفن الى وضع (وثيقة عمل) تحدد من خلالها الخطوط الرئيسة لهذه التظاهرات وتأسيس جمعية لمهرجانات السينما، تقوم بالتنسيق بين المهرجانات المختلفة.

وزيادة عدد المهرجانات وتنوعها يؤكد الحضور المهم لهذا الفن والتطور المطرد الذي وصل إليه، اضافة الى منحها الفرصة لاي نتاج سينمائي ان يعلن وجوده والمنافسة على أحقية البروز العالمي مهما كان موضوعه وامكانيات صنعه.

(التهرب) بعيداً عن هموم العصر

اعداد/ عادل صادق العامل

يمثل فلم (التهرب)، كما يقول مخرجه الفرنسي التونسي الاصل، عبد اللطيف كشيش، طريقة مختلفة للنظر الى شباب وشابات منطقة المشاريع الواقعة شمال شرق باريس، التي تصور على انها مصدر للمتاعب، والتي تؤوي اجيالاً من الناس الذين هاجروا الى فرنسا بعد حرب الاستقلال الجزائرية.

ويدور الفلم الذي عرض مؤخراً في مهرجان برلين، والذي استغرق انجازه اثني عشر عاماً من العمل المتردد، حول عدد من الطلاب والطالبات الذين تكلفهم مدرستهم بتمثيل مسرحية لتقدم في نهاية السنة الدراسية، تسمى (لعبة الحب والمصادفة).

فهناك فتى يدعى كريمو الحالم، الذي يمثل دوره الشاب عثمان الخراز، لم يقرأ كتاباً في حياته، يقع في حب جارته وزميلته الشقراء ليديا، التي تمثل دورها الشابة سارة فورستيه، البالغة 16 عاماً عندما صور الفلم.

وتقوم ليديا الرائعة، في مسرحية الفلم، بدور خادمة تتظاهر بأنها سيدة، ويكافح كريمو ضدها باعتباره المهرج، وقد اعطاهما مدرسهما هذا النص لطريقته في معالجة الفروق الطبقية، إذ يمثل الاغنياء دور الفقراء الطبقية، إذ يمثل الاغنياء دور الفقراء، والفقراء دور الاغنياء بل ان الحب نفسه يتكيف وفقاً للظرف الاجتماعي. لكن كريمو لا يستطيع ان يفعل شيئاً، او يتهرب من حياته. فأبوه في السجن، وصديقته السابقة تلاحقه، وزملاؤه الطلاب يسخرون منه. وعندما يطلب من ليديا موعداً للقاء تتردد، فليديا، وهي مراوغة بارعة، تتهرب، وتريد، باعتبارها عصرية، ان تأخذ ما يكفي من الوقت قبل ان تقرر شيئاً، بالرغم من ضغط الزميلات عليها. وهكذا يتجمعن حولها فيما يشبه الجوقة الاغريقية، بينما يحاول زملاء الخراز ايضاً حمايته من هذه اللعبة الخطرة- الحب.

ولا يقتصر هذا العمل الفني، بالطبع، على هذه الاحداث. فقد اراد المخرج من فلمه هذا، كما يقول، ان يتحدث عن المسرح، وان ينجز قصة حب، ويتحدث عن ضواحي باريس بطريقة مختلفة خارج نطاق الزيجات الاجبارية او النقاش الدائر حول الحجاب في المدارس العامة.

وهو ما يلتقي بالفعل في فلم (التهرب)، حيث لا تشغل الاولاد والبنات قضايا العنف او هموم الآباء، وحيث تقع احداث المسرحية التي صورت فوق تل معشب على خلفية منطقة سكنى هؤلاء بمبانيها الطويلة المبعثرة الحزينة.

عن/ هيرالد تريبيون

السيد ابراهيم وزهور القرآن رسالة تسامح استأثرت بجوائز السينما

جودت جالي

في شارع ضاج بالحركة بباريس الستينيات يعيش "مومو" مع أبيه ويستمع الى اغان مثل "سلامة يها الزملاء" ويعيش في محل بائع الفواكه "السيد ابراهيم" الذي لم يكن غافلاً عن عبثه اللصوصي ولكنه كان يحس عاطفة نحو هذا الغلام الذي يعيش على هواه. من هذه الحكاية الأبوية عن الصداقة بين شيخ مسلم مشرقي وغلام يهودي تخيلها إيريك-عما نوئيل شميت مخرج فيلم "غرفة الضباط" استمدت يوميات مليئة بالحنين وجذابة. الصغير بيير بولانجيه فعل ما هو اكثر من مجرد مروج لبضاعة عمر الشريف الذي انجز عودة كبيرة الى الشاشة بدوره كناصح عطوف معيداً الى الاذهان الدوي الذي لا ينسى "مدام روز" باداء سيمون سينوريه في فيلم "الحياة امامها". الفيلم مباشر واضح الهدف ولكن هذه المباشرة وهذا الوضوح من الممثلين عمر الشريف المحنك الخضرم والصبي الموهوب "بيير بولانجيه" يتخذان بعداً اوسع من مجرد البساطة، انه تصوير لطبيعة المجتمع الفرنسي متآلفة الاجناس والاديان اضافة الى رسالة التسامح.

احتفل "بيير" ببلوغ عامه الخامس عشر اثناء تصوير الفيلم الذي اخرجه فرانسوا ديبيرون. ترافق ذلك مع العطلة المدرسية التي قضاها في "حرية" تحت "رقابة" عمر الشريف عام (2002) وسمحت للفتى ان "يحوم حول عالم الكبار ويتعرف على مهن السينما ذات يوم وهو في سن الثالثة عشرة وكان عائداً من المدرسة ذهب ليسجل اسمه في مكتب للتمثيل لمجرد

ول"، عفويته ونشاطه

اختباراً أو بعد دعوته من قبل المخرج الى خمس مقابلات الى ان يمثل دور "مومو" ثم عهد به الى "ارميل سبرير" في سيارة إقامة كبيرة متنقلة لتهذب وتصقل موهبته بخصوص الدور لينطلق بعدها في الفيلم مسبباً الارباك لعمر الشريف بائع الفاكهة ومتحولاً بعد ذلك الى صديق صغير مطيع، يقول عن تجربته هذه "الاكثر صعوبة كان في اداء المشاهد الحزينة وفي تعلم البوح بالحزن فانا في حياتي الحقيقية أميل الى الثرثرة والمرح وهكذا كان علي تعلم كيف اكون شخصاً آخر.